



اسم المادة: الدرس التاسع من الآيات ٦٦:٧٩

من سلسلة: مجالس القرآن (سورة الأعراف)

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم



إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: الدرس التاسع من الآيات ٦٦:٧٩

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

رابط المادة: <https://way2allah.com/khotab-item-128373.htm>

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، نستكمل بإذن الله -عز وجل- بحوله وقوته ومدده ورحمته وفضله، نستكمل وقفات مع مدرسة سورة الأعراف.

ملخص الحلقة الماضية

كنا توقفنا عند الآية ٦٥، في بداية قصة هود -عليه السلام- تكلمنا في المرة الماضية عن بداية إرسال الرسل، وبداية إرسال نوح -عليه السلام- إلى الأقسام، بعد كانت هذه المقدمة الطويلة في سورة الأعراف، التي تحدثت سورة الأعراف عن مجمل سريع وملخص سريع لحياة البشر، وكيف يتعاملون مع الرسل، وكيف أن المعرضين ينزل عليهم العذاب، وأن المؤمنين ينجيهم الله -عز وجل- بإيمانهم، ثم بينت السورة في آخر الآيات قبل الحديث التفصيلي عن إرسال الرسل، بينت السورة مثال كوني مُشاهد أماننا، كما أن الأرض تختلف استجابة الأرض بالنسبة للمطر، فكذلك تختلف استجابة القلوب لآيات الرسل، فمنهم من يقبل الآيات ويقبل الرسالة، ويؤثر ويثمر ويُخرج الطاعات، ومنهم من يُعرض -العياذ بالله- وتكون أرض التي سماها الله -عز وجل- أرض خبيثة لا تُخرج إلا نكداً.

فبعد هذا المثال بدأ التفصيل، وبدأنا المرة الماضية في أول قصة في إرسال نوح -عليه السلام- إلى قومه، وتكلمنا كيف واجهه قومه، أو على الأدق كيف واجهه الملائكة من قومه وكيف أعرضوا عن دعوته، ثم ثنى الله -عز وجل- بهذه القصة فقال ربنا -سبحانه وتعالى- "وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" الأعراف ٦٥: ٦٦، "وَإِلَىٰ عَادٍ"، أي وأرسلنا أيضاً إلى عادٍ هوداً كما أرسلنا إلى قوم نوح، فكذلك أرسلنا إلى عاد، بدأت الآيات المرة الماضية بقوله -سبحانه وتعالى- "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا" الأعراف: ٥٩، فقالوا أن هوداً -عليه السلام- هذا الاسم جاء منصوباً ليه؟ لأنه مفعول به لفعل أرسلنا، الله -عز وجل- أرسل هوداً إلى عاد.

عاد قوم طبعاً احنا في سورة الأعراف، سورة الأعراف من بداية هذه الآيات أو من المرة السابقة بتحتوي على كثير من القصص غير سورة الأنعام، وبما أن احنا ماشيين في مجلس تفسير، مجلس مُدَارسة، فاحنا هنحاول قدر المستطاع ألا نخرج كثيراً عن سياق الآيات، وإن كان هذه القصص وردت في سور أخرى بسياقات مختلفة، بعض هذه القصص الموجودة معنا أو أغلب القصص الموجود في سورة الأعراف ورد في سور أخرى، إلا بعض القصص كقصة الذي انسلخ من الآيات، وقصة الذين اعتدوا بالسبت، جاءت مذكورة مُجملة في مواطن وجاءت مُفصّلة في سورة الأعراف، لكن غالب القصص جاء مُفصّلاً أيضاً في أماكن أخرى، فاحنا بقدر المستطاع نحاول نقتصر على سياق سورة الأعراف إلا إذا اضطررنا أن نخرج لنذكر بعض الفروقات في السور الأخرى، فالدرس ليس قصص الأنبياء أو قصص السابقين حتى نستطرد في تفاصيل قد وردت في إسرائيليات أو قد أتت حتى مروية عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكن قدر المستطاع نحاول أن نلتزم بسياق سورة الأعراف.

لا يجب أن يمتنع الداعية عن دعوة المتكبر

قال ربنا -سبحانه وتعالى-: "وَإِلَى عَادٍ"، قوم عاد قوم متجبرين ومتكبرين معروفون هؤلاء القوم معروفون بقوتهم وكيف كانوا يتكبرون وكانوا يقولون "مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" فصلت: ١٥، تخيل أن قوم يقولون هذه الكلمة يتجبرون، في قمة العتو والتكبر ثم أن الله -عز وجل- لا يتركهم ثم يرسل إليهم رسولا، فمهما تجبر الإنسان، ومهما تكبر لا ينبغي أن يمتنع الدعاة عن مخاطبته وعن إرسال أحدٍ إليه، فالله -عز وجل- أرسل هوداً بالرغم من تجبر عاد وبالرغم من تكبرهم ولكن الله -عز وجل- أرسل إليهم هوداً بالرغم من تجبر عاد وبالرغم من تكبرهم، نعم يُختار في هذه المهام صاحب القلب القوي، صاحب الدين القوي، لئلا يُفتن في هذه المهام، وهذه المهام ليست واجبة على الجميع، لكن ينبغي أن لا يخلو طاغية أو متكبر أو عاتٍ متجبرٍ من نُصح لا بد أن ننصحه، لا بد أن يتقدم إليه أحد لينصحه.

معنى لفظ الأخوة في القرآن

لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يروى عنه أن "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَهَمَّاهُ، فَفَتَلَهُ" صححه الألباني، إذا تجبر عاد لم يمنع من إرسال الرسل، إرسال نبي الله هود إليهم، فأرسل الله -عز وجل- هود إلى عاد، إلى قوم عاد بالرغم من تكبرهم وتجبرهم وعتوهم، فقال ربنا -سبحانه وتعالى- قال "وَإِلَى عَادٍ"، أي وإلى هؤلاء القوم المتجبرين، المتكبرين، المعروفين بعتوهم، أرسل الله إليهم هوداً ولم يتركهم سدى، "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ"، أرسل الله -عز وجل- إليهم رسولاً منهم، من قوم عاد، فقال أخاهم، لذلك العلماء اختلفوا في الأخوة لأن غالب الأخوة قد يُطلق على الدين، لكن استعمال القرآن للفظ الأخوة لم يقتصر على أخوة الدين فقط، وإن كان لفظ الأخوة جاء في القرآن في استعمال أخوة الدين كما في سورة الحجرات، "فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" الحجرات: ١٠.

أما هنا فأخوة النسب، فأيضاً الأخوة قد تُطلق على أنه من نسبهم أو من قومهم، من بلدهم، من نفس المكان فقال ربنا -سبحانه وتعالى-: **"وَالْيَاقِينِ إِخْوَانُهُمْ هُودًا"**، قال بعض المفسرين لماذا أخبرنا ربنا -سبحانه وتعالى- بكلمة أخاهم وأنه منهم، الزمخشري قال: **"حتى يكون هؤلاء القوم أفهم لكلامه"**، لما واحد يدعو قومه وهو يعرفهم ويعرف واقعهم وتفصيل حياتهم، وتجربتهم، وعتوهم وهو منهم، ويعلم كيف يدخل إليهم، هذه الدعوة تكون أدعى للقبول، لذلك لما بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بدأ بدعوة قومه أولاً وهو منهم، هو الصادق الأمين بينهم، هم يعرفون نسبه ويعرفون فضله ويعرفون خُلُقَه، ويعرفون أنه الصادق، أنه لم يكذب، فكذلك أيضاً هود جاء منهم، وهنا كأن هناك إشارة إلى أن الداعية المؤثر هو الذي يعلم واقع الناس، يتكلم في واقعهم لا يتكلم بعيداً عن حياتهم.

لا يمكن أن يكون الرسول ملكاً

لذلك لما كان المشركون يطلبون أن يكون الرسول المرسل إليهم ملكاً فاعترض القرآن على هذا، كيف يكون ملكاً، لو المرسل للمشركين كان ملكاً كان المشركون سيقولون أنه لا يشعر بنا، الملك ليس لديه شهوات، هو لا يشعر بجائتنا، هو يأمرنا أن نغض الأبصار وأن نبتعد عن الشهوات، هو لا يشعر بما نشعر به، لكن حينما يكون الرجل من واقع القوم، يتعرض لنفس الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو بشر ويعاني معهم ثم يتفوق على هذه المشاكل ويدعو قومه إلى أن يجتازوا هذه المشاكل تكون دعوته أدعى لقبول قوله، ويكون قوله له واقع في نفوسهم.

التوازن أمر مهم ومطلوب

فذلك كما قال ربنا -سبحانه وتعالى- أيضاً ليس في مجرد أنه منهم، أيضاً بلسانهم، بلسان قومه كما أخبر ربنا -سبحانه وتعالى- في سورة إبراهيم، فقالوا أن كلمة أخاهم تفيد هذا المعنى: أهمية معرفة واقع الناس حتى لا يكون الداعية يتكلم في واقع، والناس في واقع مختلف تماماً، أهمية مراعاة واقع الناس، هذه المسألة حتى لا أطيل فيها أحياناً تُقلل عند بعض الناس، وأحياناً تتضخم عند بعض الناس، قضية أهمية الوقت، بعض الناس يُقلل هذا الأمر إلى درجة أنه لا يعتبره أصلاً، وأن القضية هي بعض المعلومات في الشريعة لا بد أن يفقهها الإنسان و فقط، وبعض الناس يضخم قضية الواقع وكأن الواقع هو كل شيء، المطلوب هو التوازن.

أركان هامة لكي ينجح الداعية

الأركان التي يقوم عليها الداعية، ركن العلمي، ركن إن صح التعبير نسميه الفكري فهم الواقع، ركن الأخلاق، غياب ركن من هذه الأركان يهدم في دعوة الإنسان، يعني لو إنسان عنده فهم جيد للواقع لكن معندوش علم لن يستطيع أن يدعو إلى الله على بصيرة، أيضاً إنسان عنده علم، لكن ليس لديه فهم للواقع، قد يُفسد، قد يُستعمل أصلاً من قبل أهل الباطل، هو لا يفهم الواقع، لا يفهم أولويات الدعوة الآن في هذا المكان، لذلك تجد أن لوط -عليه السلام- تكلم في

يجب أن يكون الداعية صريح وواضح في دعوته

"قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ"، دعوة التوحيد لا بد أن تكون واضحة بدون مواربة، "مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ"، أفلا تتقون عذابه؟ أفلا تخافون نزول العذاب عليكم بسبب إشراككم، أفلا تتقون؟ نجد بعد الدعوة إلى التوحيد مباشرةً ينطلق الملائ، أول ما تكون الدعوة واضحة ينطلق الملائ للرب، قضية هامة جدًا: أن ظهور أهل الباطل بوضوح وبصراحة مبني على صراحة الداعية، يعني إذا دلّس الداعية في الدين ولم يكن واضحًا، أهل الباطل لا يظهرون بوضوح، هم أيضًا يصبحون مدلسين، حينما يكون الداعية واضح ويدعو إلى التوحيد بوضوح، والخوف من نزول العذاب بسبب المعاصي، حينما يكون واضح فسيضطر أهل الباطل إلى الإعراض الواضح والصريح، فقال الملائ مباشرة، "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ".

نجد هنا أن سورة في قوم نوح، "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ" الأعراف: ٦٠، أما هنا "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ"، العلماء توقفوا هنا، ليه؟ كلمة الذين كفروا زادت، يعني في الآيات السابقة في نفس الصفحة، "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ"، هنا "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ"، احنا اتكلمنا في الملائ قلنا معنيين، الذين يملؤون أعين الناس، ويملؤون قلوب الناس بالزخارف والمال والعدّة والعتاد، فيهاجم الناس هم مقدّمون عند الناس، وأيضًا هؤلاء الملائ يتمالؤون مع بعضهم البعض، يعني هما متفقين، هم متفقون على رأي واحد، فهم قلة متحكّمة في عموم الناس، لفظة الذين كفروا بعض أهل العلم قال: لأن مش كل الملائ في قوم هود كفروا، أما كل الملائ في قوم نوح كفروا.

بعض أهل العلم قال: أن كل الملائ قوم نوح، الملائ الناس المتقدمة القادة المتبعون كلهم كفروا في زمن نوح، فلم يحتج القرآن إلى ذكر قيد قال: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا"، فلما قال ربنا "قَالَ الْمَلَأُ"، علمنا أن كل الملائ كفر، لكن في زمان هود بعض الملائ آمن فجاء هذا اللفظ للتقييد، يعني إيه للتقييد؟ يعني مش كل الملائ في قوم هود كانوا كفار، ده قول قاله الزمخشري واعترض عليه، اعترض عليه أغلب حواشي الكشّاف زي الطيبي وغيره اعترضوا عليه، قالوا إزاي؟ ده في قال الملائ الذين كفروا من قوم نوح، جاءت في سورة هود وسورة المؤمنون، يعني كلمة قيد الذين كفروا جاء مع الملائ، جاء في سورة المؤمنون وفي سورة هود، إذاً هذا الكلام لا يصح، واعترضوا على هذا الكلام، وبالفعل هذا الكلام مُعترض عليه.

الفائدة من الآيات

طب ليه القيد؟ بعضهم قال: لأنهم كانوا أشد طغيانًا وكُفروا عتوًّا، طب ليه أشد طغيانًا وعتوًّا وكُفروا، لأنهم رأوا عذاب قوم نوح، لكن قوم نوح لم يروا عذاب من قبلهم، لذلك لو تتذكروا أننا قلنا في معنى قوله -سبحانه وتعالى- "وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" الأعراف: ٦٢، أن سيدنا نوح يقول لقومه أعلم من الله ما لا تعلمون، أعلم مدى عذابه -سبحانه وتعالى- لو نزل عليكم، لم يخبرهم اتقوا ما نزل على القوم السابقين، أنه لم ينزل عذاب عام فيما ذكر لنا وفيما وصل إلينا،

عذاب عام قبل قوم نوح، لكن قوم هود هم يعلمون أن هناك قوم نوح عليهم الطوفان وأغرقهم واستخلفهم الله - عز وجل - بعدهم، ثم هم يتجبرون ويتكبرون، ويكفرون، فوصف زائد، وكما قلنا ده الفائدة اللي بناخذها من الآيات.

الناس تطغى مع مرور الزمان

طب الفائدة في السياق، احنا قلنا من المعاني الهامة في سورة الأعراف مسألة تطور الكفر، وتطور المعصية، وذكرنا هذا بالتفصيل في تفسير قوله - سبحانه وتعالى - **"وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا"** الأعراف: ٢٨، وذكرنا كيف أن الأمر بالفاحشة يتطور من مجرد الفعل إلى تحويلها إلى شريعة وإلى دين، وفهمنا أيضاً أن الملائكة يتطورون، هنجد في الأول قال الملائكة فقط من قومه، قوم هود **"قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا"**، قوم صالح **"قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا"** الأعراف: ٧٥، أي ضموا إلى الكفر الاستكبار، قوم شعيب نجد أن الاتنين؛ مرة **"قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا"**، ومرة **"قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا"**، فكان فيه طغيان بيزداد، كأن الملائكة بيزداد طغياناً، يعني الأول الملائكة فقط بعد كده الملائكة الذين كفروا، بعد كده الملائكة الذين استكبروا، بعد كده الاتنين، الذين كفروا والذين استكبروا، فهذا من علامات طغيان الناس مع مرور الزمان.

لأن مع مرور الزمان تزداد الآيات، والأقوام اللي أهلكتها بيزدادوا، وبالرغم من ذلك يستمر العناد وكما أن أيضاً لو تتذكروا احنا قلنا أن بعض الكتاب ولا سيما من المعاصرين حاول يربط بين قصص الأنبياء في سورة الأعراف، أن الأقوام يحاولوا أن هما يطوروا الفاحشة، يعني في الأول واجهوا قوم نوح قالوا أنه ضال، **"إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ"** الأعراف: ٦٠، ثم بعد ذلك اتهموه بالسفاهة، الاتهام بالسفاهة أشنع وأقبح من الاتهام بالضللال، لأن الضلال ممكن يكون هو إنسان عاقل ولكن لم يُصَب الحقيقة، لكن السفاهة هم يتهمونه في أصل العقل، مش بس أنه اختار رأي غلط أو خطأ في الدين، لا، يتهمونه في أصل عقله، ثم بعد ذلك في قوم صالح، عقروا الناقة، ثم بعد ذلك في قوم لوط نشروا الفاحشة، ثم بعد ذلك مع قوم شعيب سيطروا على الاقتصاد وعملوا معاصي اقتصادية وأزمات اقتصادية وسيطروا هم على الاقتصاد.

الاجتمعات دائماً تتطور في المعاصي

فكانت المجتمعات تتطور، كما سنجد واحنا بنتكلم عن جريمة قوم لوط - عليه السلام -، فإذا أن الفوارق ما بين كلمة قال الملائكة، واحنا قلنا أن من كلمة الملائكة أكثر سورة جاءت فيها هذه الكلمة سورة الأعراف، جاءت ما يقرب من سبع مرات في هذه السورة، **"قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ"**، أيضاً الملائكة يتكلمون بصيغة التأكيد، إنا لنراك وشرحنا ده هذا الأسلوب شرحناه في المرة الماضية أي إننا متأكدون، كلنا مجتمعون ونؤكد أننا وصلنا إلى مرحلة اليقين **"إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ"**، (في) أي غارق، (في) هذا الظرف يعني وكأنه لم يخرج من السفه في كل ما يقول.

اتهام أهل الدين بالسفاهة

ما الذي قاله هود يدعو إلى السفاهة؟ هو قال " **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**" الأعراف: ٦٥، أحياناً يقوم المؤمن بعمل طاعة، أو يدعو إلى الله -عز وجل-، يدعو إلى دين الله -عز وجل-، ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف فيتهمه الناس بالسفاهة، وهو ما الذي فعل؟ الاتهام بالسفاهة أمر من القديم، وكان يقوم به اليهود المنافقون يتهمون أهل الدين، فيه بعض الأعمال لأهل الدين لا يستطيع أهل الباطل ولا أهل الضلال، لا يستطيعون أن يستوعبونها أو أن يستوعبوها، لا يستطيعون أن يستوعبوها، مش متصور يعني إيه أنك تضحي عشان ربنا، مش متصور يعني إيه قضية التوحيد فقط، أن يبقى إله واحد، يعني كل الآلهة اللي موجودة دي غلط؟ يعني كل الأجداد والآباء غلط؟ فيتهمونك أنت أنك سفيه، إذا واجهت معصية أو فاحشة أو كفر أو شرك انتشر وساد بين الناس وأردت أن تغير هذا في الواقع سرعان ما يتهمك الناس بالسفاهة.

لذلك في سورة البقرة في البداية "**قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ**" البقرة: ١٣، اليهود نشروا، والمنافقون نشروا أن المهاجرين والأنصار سفهاء، ليه سفهاء؟ تجد أن المهاجرين تركوا أرضهم ووطنهم، وديارهم، وأموالهم لماذا؟ ما هذا السفه؟ وأن الأنصار يتبرعون بنصف أموالهم إلى أقوام لا يعرفونهم ما هذه السفاهة؟ أعمال الدين تكون بالنسبة لكثير من الناس الذين لا يعلمون شرع الله -عز وجل- ولا عظمته -سبحانه وتعالى- ينظرون إليها على أنها سفاهة، فلا تجعل هذه النظرة تسيطر عليك، يعني أحياناً بعض الناس ينظر، الذي يريد أن يدعو إلى الله -عز وجل- أو يضحي في سبيل الله إلى أنه سفيه، وهو لم يفعل شيئاً هو أراد أن يضحي لأجل خالق السماوات والأرض، هو يتقرب إلى مولاه إلى سيده ثم يتهمونه بالسفاهة.

معنى الظن في الآية الكريمة

ما الذي فعله هود حتى يتهم بالسفاهة؟ هو ينشر دعوة التوحيد، تقولون عليه أنكم متأكدون أنه فيه سفاهة لم يخرج منها بسبب دعوة التوحيد، "**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ**"، وأيضاً أنت لم تكتفي باختلال العقل بل ضمنت إليه الكذب، "**وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ**"، وكان كلمة احتراز والتفريق بين نراك ونظنك وكأنهم يحترمون معايير التقييم، يعني احنا موصلناش لسه لليقين أن أنت كاذب، لكن احنا عندنا يقين أن أنت سفيه، "**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ**"، احنا مش متأكدين احنا بندور وهنبحت ونظنك من الكاذبين، لذلك بعض أهل العلم قال: **الظن هنا على حقيقته**، وأن دي طريقة معينة إيه بيدلّسوا بيها على الناس، عشان يتظاهروا بالإنصاف أمام الناس، لأن المالأ بيتكلم دائماً أمام الناس.

وبعضهم قال: **الظن هنا بمعنى اليقين**، ليه ربنا قال إنا لنراك وبعدين قال إنا لنظنك؟ قال بسبب تنوع اللفظ، لكن مسألة أن فعلاً أنهم يدلّسون في الألفاظ ويستعملوا مصطلحات توحى وكأنهم أهل إنصاف، نحن موقنون معنا أنك في سفاهة، لكن مسألة الكذب نظنك من الكاذبين

اتهام الأنبياء بالسفاهة

أدب الأنبياء في الرد "قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ" الأعراف: ٦٧، فقط، انظر كيف اتهموا نوح -عليه السلام- وكيف اتهموا هود -عليه السلام- هو اكتفى بنفي هذه التهمة، لكي لا يدخل معهم في معارك وهمية، في شخصنة الدعوة، هم يريدون أن يشخصنوا الدعوة ويقفوا عند شخص فيظل يدافع عن نفسه كثيراً، هود -عليه السلام- جاء بصفة إن صح التعبير يعني بصفة رسمية، مش بصفته الشخصية، هو رسول، هو يطبق هذا الدين على نفسه نعم كشخص، لكنه جاء كرسول، لذلك لما أراد فرعون أن يشخصن قضية الدعوة، قال: "وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ" الشعراء ١٩، فقال موسى -عليه السلام- في سورة الشعراء ردًا عليه، "قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ" الشعراء: ٢٠، لكن ما علاقة هذا بما أخبرك به من توحيد الله -عز وجل-، أيوه أنا أخطأت وتبت إلى الله -عز وجل- ما علاقة هذا بما أدعوك إليه، يعني ما علاقة إن أنا أخطأت واعترفت ثم أنت تتهمني بخطأ أنت السبب فيه؟

"وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ" الشعراء: ٢٢، تمن علي أن ربيتي في بيتك، وهل ربيتي في بيتك إلا بسبب أنك كنت تذبج الأطفال، وهل رمتني أُمِّي في اليم إلا خوفاً منك، تمن علي بشيء أنت السبب فيه، فالشاهد الخروج من قضية شخصنة الدعوة، يسعى دائماً أهل الباطل إلى أن يمسك على الداعية خطأ، ويريد أن يقف عند هذه النقطة، لا بد أن يتجاوز الداعية هذه النقطة، فإن خطأ فليعترف، ثم ينتقل سريعاً إلى دعوة التوحيد والدار الآخرة، "قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ"، دعكم من هذا الكلام "وَلِكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"، ما أقوله ليس من عندي، هو من عند الله -سبحانه وتعالى-، "رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"، نفى عن نفسه أي اتصال بالسفاهة، وكما قلنا هذه دعوة قديمة حديثة، أن يتهموا أهل الدين بالسفاهة.

مقياس السفاهة يختلف عند الناس

لأن مسألة السفاهة ممكن فعلاً الناس تختلف في معايير تجد اثنين يختلفون هذا الفعل من السفاهة أم لا، فما هو المقياس الذي نضعه لتقييم فعل من الأفعال، هل هذا الفعل من السفاهة، أو هذا الفعل عقل فعلاً؟ لأن أحياناً قد لا يستوعب العقل البشري القاصر فعل معين، إن واحد يضحي بنفسه ويموت في سبيل دينه، العقل المحب للعالمية المتبع للشهوات قد لا يستوعب ذلك، فيقول هذا إنسان سفيه، "عَرَّ هُوَ لَاءِ دِينِهِمْ" الأنفال: ٤٩، الناس دي اضحك عليها، "وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِي هُود: ٢٧، الناس دي مابتفكرش، الناس دي هيضحك عليها بسهولة، "بَادِي الرَّأْيِي"، أي بمجرد ما بدوا لك أن يتبعوك ساروا خلفك بدون تفكير، ده بادي الرأي.

معيار السفاهة في القرآن

طب إليه المعيار اللي القرآن وضعه؟ قال ربنا -سبحانه وتعالى- " **وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** " البقرة: ۱۳۰، احنا بنقيس على ملة إبراهيم، يعني حتى مقياس أُمِّي، وسيدنا إبراهيم من أكثر الأنبياء تضحيةً في سبيل الله، حتى لا يُتَّهَم أحد ضحى بدين الله -عز وجل- أنه سفیه، ده اتهام ضمني وحاشاه، اتهام ضمني لإبراهيم -عليه السلام- أيضاً، فإبراهيم -عليه السلام- تنفيذاً لأوامر الله ضحى بزوجته وبولده وبأهله وبنفسه، إبراهيم -عليه السلام- قدّم كل هذه التضحيات.

" **قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** "، وأيضاً ما تقولونه في لن يعني من استكمال دعوتي " **أُبَلِّغُكُمْ** " بصيغة المضارع كما تكلمنا في قصة نوح، " **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي** "، لن أترك رسالة واحدة " **رَبِّي** "، لأنها من أوامر الله -سبحانه وتعالى- لي " **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي** "، وبالرغم من أنكم تقومون بسبي وشتمي ولكن " **وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** " الأعراف: ۶۸، أنا أقابل هذه السفاهة منكم وهذا الطيش وهذا الحمق أقبله بأي لكم ناصح أمين، ثم مم تعجبون؟ " **أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ** " الأعراف: ۶۹، شرحنا نفس الآية في قصة نوح، ثم زاد " **وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً** "، لأن في حدث زاد وهو إهلاك قوم نوح فاستعمله هود -عليه السلام- في الدعوة، هذا الحدث إهلاك قوم سابقين لم يحدث في زمن نوح، فلم يستعمله نوح -عليه السلام- في الدعوة، أما هذا الحدث حدث في زمان هود، فاستعمله هود.

أساليب وأحداث يجب أن يستغلها الداعية في دعوته

هذا يعطي إشارة إلى الداعية أن الأحداث والأقدار التي تحدث من مثلاً موت فلان على معصية، إهلاك أقوام عصوا الله -عز وجل-، هذه الأحداث الكونية التي تحدث بتقدير الله -عز وجل-، لا بد أن يستعملها الداعية في الدعوة إلى الله -عز وجل-، بعض الناس يقول لك لا متكلمش في الأحداث دي لأن هي ممكن يرد عليك يقول لك أصل دي بسبب الأسباب مش من عند ربنا، طب هود -عليه السلام- أن الله -عز وجل- جعلكم خلفاء من بعد قوم، هو الذي استخلفكم من بعد ما أهلك قوم نوح، " **وَرَأَدْتُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً** "، خوفهم ثم ذكرهم بالنعمة، أيضاً حينما ترى نعمة معينة في أقوام تذكرهم بهذه النعمة، وتقول أن الله -عز وجل- خصكم بهذه النعمة، وأن الله -عز وجل- قادر على أن يسحب هذه النعمة منكم.

الله قادر -سبحانه- على نزع النعمة

ما هو إيه اللي خلّى أن هذه النعمة خاصة بقوم عاد، هي من تقدير الله -عز وجل-، الله -عز وجل- قادر على أن ينزع هذه النعمة منهم، " **وَرَأَدْتُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۗ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** "، التفكر في نعم الله -عز وجل- وآياته " **فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** "، الخطاب موجه، بعد أن اتهموه بالسفاهة، سيدنا هود زاد في الخطاب، خلّى الخطاب

بتاعه أقوى، فاستفاض في خطابه فتراجع موقفه، الأول اتهموه بالسفاهة، هذا الخطاب لا يخرج من سفيه، هذا الخطاب المرتب، الإنذار، النعمة، "فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ"، لا يدعو لنفسه، يدعو الله -عز وجل-، هذا الخطاب لا يخرج من سفيه، فسقطت الدعوة الأولى لهم، فاضطروا أن هما يواجهوا دعوة التوحيد الأولى "مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ" الأعراف: ٦٥

يجب أن يكون الداعية قويا في دعوته

قوة الداعية تجعل أهل الباطل يتراجعون، استمرار الداعية في طريقه وقوة طرحه، قوة الطرح اللي يقدمه الداعية تجعل أهل الباطل دائما يتراجعون خطوة إلى الوراء، فتراجعوا خطوة إلى الوراء، رجعوا تاني يتكلموا في التوحيد، هما في الأول مكنوش عايزين يفتحوا موضوع التوحيد ده أصلاً، قالوا "إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ"، بيكلمهم في التوحيد اتركوا هذه الآلهة ولا تشركوا بالله شيئاً، قال أن كان لهم أصنام كثيرة منها ثلاثة أصنام مشاهير كانت متوزعة في قبائل، لأن كانت قبيلة عاد ناحية اليمن حضرموت، من اتجاه اليمن إلى عمان، كانت في هذه المنطقة، كان لهم ثلاث أصنام مشاهير كما يقول كُتَّاب السير.

مشكلة التوحيد واتباع الآباء أكبر مشاكل المشركين

فالشاهد أن دعاهم إلى التوحيد فلم يجيبوا في الأول ردًا على التوحيد اتهموه بالسفاهة فقط وأعرضوا، فلما استمر في دعوته اضطرهم إلى الرجوع إلى نقطة التوحيد، "قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا" الأعراف: ٧٠، يبقى هو عندهم مشكلتين: مشكلة التوحيد، ومشكلة ترك ما كان عليه الآباء، دي إشكالية معنا زي ما قلنا مستمرة معنا في سورة الأعراف، مسألة ما كان عليه الآباء، مسألة الأتباع والمتبعون، قضية موجودة معنا في سورة الأعراف، يتعجبون، "وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" الزمر: ٤٥، أن تذكر الله ومعه آلهة أخرى قد يطمئن البعض، أنت تروح لربك وأنا أروح لآلهتي، أنت تشوف تشريع لربك وأنا أشوف تشريع للآلهة، أو تعبد إلهي سنة وأعبد إلهك عام، يعني يبقى في نوع من المفاوضات.

غالب الصراعات بسبب الجاه والمنصب

لكن حينما تصير على التوحيد، أنت تُصِرُّ على توحيد مصدر التلقي وأن الشريعة واحدة نزلت من رب واحد، فأنت سوف تسحب البساط من تحت أرجلنا، ما حققناه من مكاسب بسبب وجود الآلهة، من مكاسب اجتماعية، من سيطرة على الناس، ومكاسب اقتصادية سوف تُنزع، حينما تُصِرُّ على التوحيد، وأنت الرسول، كل هذه المكاسب التي حققناها بعد أن أصبحنا الملاء، هذه المكاسب سوف تُنتزع منا، وغالب الصراعات كان سببها الحفاظ على هذه المناصب، أنهم كانوا يرفضون أن يتنازلوا عن مناصبهم، لذلك بعضهم اشترط أن يدخل مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدين ولكن، وأن يكون لهم الأمر من بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو يشاركه في الملك، هو ينظر إلى النبوة بنظرة حسد، قل أريد

أن يشاركك، أو تكل الأمر لي من بعدي، فرفض النبي -صلى الله عليه وسلم- تدخل كعبد لله -سبحانه وتعالى-، الله - عز وجل- يوزع ويعطي الأرزاق كما يشاء -سبحانه وتعالى-.

يجب أن يدعو الداعية إلى توحيد الله -عز وجل-

"قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ"، يبقى الإشكالية بس لعبد الله، لذلك ده خطورة أن الداعية حينما يدعو لا يدعو إلى دعوة التوحيد، دعوة التوحيد ونكرر دائماً هي لا إله إلا الله، هي نفي وإثبات، ليس فقط الله ربي، هذه ليست دعوة التوحيد، دعوة التوحيد لا إله إلا الله، "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى" البقرة: ٢٥٦، فالكلام عن أن الله هو الرب -سبحانه وتعالى- وأنه قادر هذه دعوة صحيحة لكنها ناقصة ولا سيماً في وجود تشريعات أخرى، وآلهة أخرى، لأن البعض قد يفهم من كلامك أنك تتكلم عن ربك، لكن أيضاً هذا لا يمنع من وجود آلهة أخرى، أو أنت تتكلم على أن الله -عز وجل- نزل تشريع للناس، لكن هذا لا يمنع من وجود تشريعات أيضاً قد تكون أفضل، أو مساوية.

دعوة التوحيد يجب أن تكون صافية

في الوقت الذي يحدث فيه هكذا لا بد أن يواجه الناس هذا التشريك الموجود في التشريع وفي غيره بدعوة التوحيد، لا بد أن تكون دعوة التوحيد صافية، لذلك هم تعجبوا إزاي نعبد الله وحده، إزاي؟ طب والأصنام؟ طب والترتيبات القائمة على الأصنام والهياكل المبنية؟ والفلوس اللي بيتيجي من ورا الأصنام؟ وفلان أصبح رئيس القبيلة لأنه من سدنة هذه الأصنام؟ أنت سوف تغير كل الترتيب المجتمعي، فرفضوا "وَنَدَّرَ مَا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا"، قبيلة بتستلم الصنم يعني أباً عن جد يتسلمون الأصنام، أنت تنزع منا هذا الشرف.

الحسد وزوال الملك سبب ضلال اليهود

"وَنَدَّرَ مَا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"، لا يمكن، قرروا أنهم لن يتركوا أبداً هذا الشيء، مسألة الحسد والخوف على الملك بسبب الدخول في الدين، هذا هو الذي فتن اليهود، لذلك قال الله -عز وجل- لهم "وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" البقرة: ٤٣، اقبلوا أن تكونوا من ضمن الراكعين، لماذا تريدون الانفراد، لذلك قالوا أيضاً "قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ" الأنعام: ١٢٤، المشركون قالوا في سورة الأنعام كما ذكرنا من قبل في تفسير سورة الأنعام، أنهم يريدون معاملة خاصة حتى ندخل في الدين، وكانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- اطرد هؤلاء، تكون لنا معاملة خاصة في الدين، هذا أمر يرفضه الدين.

معنى قوله تعالى "قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ"

"فَأْتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"، فلما سمع منهم هذا الكلام وعلم إصرارهم " قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۗ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۖ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ" الأعراف: ٧١، هذه الإجابة من نبي الله هود، " قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ"، اختلف العلم هل قد وقع بمعنى سيقع عليكم، وهنا مجاز عن المستقبل، أي سيقع؛ سينزل عليكم وأن الله -عز وجل- أعلم، أخبر نبي الله هود أخبره أنه سوف ينزل عليهم العذاب بسبب عنادهم، أو أن هود -عليه السلام- لما رأى هذا الإصرار تنبأ بنزول العذاب عليهم وأنه لا يصل قوم هذه المرحلة من العناد إلا وينزل عليهم العذاب.

طيب هل كلمة قد وقع يعني، خلاف تاني، هل فعلاً في اللحظة دي قبل أن ينزل العذاب، كلمة وقع على حقيقتها هي فعل ماضي، ولا بمعنى المستقبل، أيضاً قالوا ممكن يختلف على حسب معنى كلمة رجس و غضب، لو الرجس معناه أمر معنوي، الرجس الفساد، جاية من الرجس أيضاً، الفساد، والخبث، فلو المقصد الفساد الخبث المعنوي، فقال أن قد وقع بالفعل فسدت فطرتكم، يعني لو وقع خلاص فعلاً في الماضي، فيخبرهم هود -عليه السلام- بهذه الكلمة وبهذا العناد، يخبرهم أنه قد فسدت الفطرة، ونزل العقاب المعنوي عليكم، مُسخت النفوس بسبب الإصرار على الشرك و-العياذ بالله- فيخبرهم خلاص أن الأمر انتهى.

"قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ"، قضى الله -عز وجل- بنزول اللعنة عليكم، لكن لسه العذاب لم ينزل، ده اللي هيختار أن رجس و غضب معناه عذاب معنوي، اللي هيختار أن رجس و غضب معناه عذاب مادي فقال أن وقع هيبقى معناه إيه؟ سيقع، لكن جاء بصيغة الماضي لتأكيد حدوثه.

كيف واجه هود قضية الشرك

" قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ"، لاحظ كيف واجه هود أمر مهم جداً، احنا بنقرأ قصص الأنبياء لنطبقها في حياتنا، حتى الذي يريد أن يعمل في الدعوة إلى الله -عز وجل- ينظر كيف كان الأنبياء يفعلون، حتى لو لم يستطع أن يفعل مثلما فعلوا تماماً يتأسى بهم في بعض أفعالهم، أو حتى يقيّم خطأه ويعلم أن دعوته ناقصة، انظر كيف واجه هود - عليه السلام- قضية الشرك، عملوا إيه هما عشان يعملوا الأصنام؟ جابوا حجارة وسموها أسماء وخلص، أمر يعني منزّلوش مثلاً مخترعوش حاجة مفيش حاجة نزلت من السماء، أمر في قمة التفاهة.

كما في البخاري أبو رجاء العطاردي يقول: كنا في الجاهلية نعبد حجراً فإذا رأينا حجراً أفضل منه ألقيناه وعبدنا الآخر، احنا بنعبد حجر لو لقينا حجر أنظف كده حاجة كده ابدتد كده، حاجة كويسة وشكلها، نرمي البتاع ونعبد، طب افرض

احنا في السفر ومفيش حجر؟ طلبت معانا دلوقتي عايزين آلهة مفيش حجر، ده في البخاري يقول: جمعنا جثوةً من تراب ثم حلبنا عليها الشاة، عشان تبقى كده تطينها كده، ويستباركوا باللبن وتطين كده، ثم نطوف حوله، تخيل، أنا عايزك بس تتخيل معايا المشهد واحد ماشي معاه حجر لقي حجر تاني، قام رامي الأولاني وعبد التاني، ضاع منه التاني، طلبت معاه قام جايب شوية طين، طب لما النبي -صلى الله عليه وسلم- بيقول لهم طب سيبوا الحجر ده، لا، طب ما أنت كنت بتسيبوا لأتفه الأسباب، لا مش هنسيبه، ويقاتلون لأجله، يبقى القضية مش لأجل الحجر، هو يترك الحجر لأتفه الأسباب أصلاً، يعني هو أساساً يترك الحجر لأتفه الأسباب، لكن الحجر بالنسبة له هنا رمز، لن أقبل التوحيد.

إصرار أهل الباطل على باطلهم ورفض شريعة الله

لذلك فيما يُروى في السير كانوا يقولون: لو كانت كلمة لقلناها، نحن نعلم معنى التوحيد، نحن عرب ولم نتعود الكذب، ونحن نعلم معنى التوحيد، فلو كانت كلمة لقلناها، نحن نعلم تبعات لا إله إلا الله، نعلم مدى أن نتخلى عن الأصنام لأجلك لا لأجل أنفسنا، أنا ممكن أتخلى عن الصنم لنفسي أنا حر، هو صنم عجوة عجيني أكل منه حتة أغير عادي، بكرة أغيره وأغير شكله، ألعب فيه مفيش مشكلة، نحن نضع الأصنام، نضع صنم مثلاً الديمقراطية، نغير فيها شوية مش مناسبانا، نغيرها بعد كده نلعب فيها نضيف عليها، أنت بقى تقول لي أرفض الديمقراطية، لا احنا نحاربك إزاي ترفض الديمقراطية، طب أنت بتلعب، أنا ألعب براحتي أنا، أنا اللي واضع الصنم، إنما معنى أن أنت ترفض الديمقراطية هتجيبلي تشريع من عند ربنا وتجبرني عليه، لا.

دفاع أهل الباطل عن أي شيء يمس مصالحهم

فلا بد أن نفقه أصل فكرة الشرك، القضية ليست حرب، لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- متى حطم الأصنام؟ وهذا من كمال دعوته، -صلى الله عليه وسلم- لم يتعجل في تحطيم الأصنام، متى حطم الأصنام؟ في آخر فتح مكة ويطوف وكان مجرد الوكز لها تسقط الأصنام لأنه حطم الأصنام اللي في القلوب قبل أن يحطم هذه الأشجار، فمسألة أنه يتعصبون لصنم فسيدينا هود بيرجعهم للحقيقة، هي مجرد أسماء، يعني أنه يعمل حرب عالمية عشان دولة رفضت الديمقراطية، أنتوا هتمثلوا، دي أسماء أنتم سميتموها ما نزل الله بها من سلطان، يضعون أسماء ثم يضعون حولها هالة من القداسة حتى لا يقترب أحد منها.

عبودية الأفكار

هذه الأسماء هي توافق مصالحهم، فإذا اقترب أحد من هذه الأسماء أظهروا شعار القداسة، ممنوع حد يقترب، لأنه صنم كذا، أو مصطلح كذا نحن وضعناه، لكن هو لما يريد أنه يغيره، يغيره بكل سلاسة، عادي اكتشف أن مثلاً أن الاشتراكية مش مناسبة فيغيرها برأسمالية أو غير ذلك، يفعل ما يشاء، إنما أن تحطم أنت هذا الصنم يرفض، وهو مجرد حجر، هو قد

يحطمه لأتفه الأسباب، كما قلت، فأعادهم هود إلى المنطقة الأولى أن احنا نُثبت أن هذه مجرد أسماء وهمية، أي صنم الآن يُعبد أو أي فكرة تُعبد، لأن القضية الآن أصبحت عبودية الأفكار، مش عبودية أصنام، وإن كانت الأصنام ستعود كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فقضية أن عبودية الأفكار، نحن نهدم الفكرة من جذورها، نثبت أنها مجرد فكرة لشخص بشر وضعها، فقد نُثبت هذا، حتى نُثبت أنها مجرد اسم، ليس لها قداسة، يعني هذه الكلمة الرائعة من هود -عليه السلام-، هي مجرد أسماء، يعني عايز يقول لهم أنتوا فاهمين أنتوا بتعملوا إيه؟ أنتوا فاهمين أنتوا بتحاربوا ربنا عشان إيه؟ خاصة لما يسمع عموم الناس هذا الخطاب، الملاً عارفين أن هي مجرد أسماء، لكن حينما يعيد عموم الناس للتفكير، طب صحيح هو احنا بنحارب ليه عشان الصنم؟ الصنم مبيعملناش حاجة أصلاً.

لا بد للداعية أن يهدم الأصنام الفكرية

ولا سيَّما أن هذه الأصنام، لأن بعضهم قال كلمة، "إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ" النجم: ٢٣، سيدنا هود يقول لهم لقد ذكرت لكم ما فعل ربكم لكم، استخلفكم وأعطاكم نعم، أذكروا آلاء الله، هذه الأسماء ماذا فعلت لكم؟ أنا دلوقتي لما جيت قلت لكم ربنا، قلت لكم ربنا عملكم إيه، طب انتوا بتقولوا أصنام طب الأصنام دي عملتكم إيه؟ "إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ"، مجرد أنتم أتيتم بالحجر ثم سميتم هذا الحجر، فلا بد أن نقوم بهدم هذه القداصة المصطنعة الوهمية حول كل الأصنام الفكرية المعاصرة، أكرر لا بد على الداعية أن يقوم بهدم هذه القداصة الوهمية المصطنعة حول كل الأصنام الفكرية المعاصرة، فيه قداسة، توضع هالة توضع وهي مجرد اسم، واضعوها اختلفوا فيها أصلاً وتناطحوها فيما بينهم في تعريف هذه الأصنام الموجودة الآن.

فدقة تعبير هود أن هي مجرد أسماء لا واقع لها، لا حقيقة لها، أنتم وضعتموها "أَنْجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا"، أنتم اخترعتم هذا الدين، أنتم وضعتموه، لذلك الشيخ أحمد شاكر في تعليقه أظن على عمدة التفسير في تعليقه على ابن كثير كان يقول أيضاً، "أن القوانين الوضعية بتحاول تكتسب قداسة في نفوس الناس عن طريق تسميتها بأسماء الشرع"، فيقولون والواجب كذا، والشارع يقول كذا، يستعملون مصطلحات شرعية، حتى أيضاً تستجلب الهيبة في النفوس، بتؤدي إلى وجود هيبة في نفوس الناس للأمور الشرعية الوضعية، أو التشريع الوضعي الموجود، فهم يحاولون وضع هالة من القداصة، دور الداعية أن يكسر، "فَأَصْدَعُ" الحجر: ٩٤، الصدع هو كسر، أن يصدع وأن يكسر هذه الهالة الوهمية الموجودة المصطنعة.

لم يتكلم هود- عليه السلام- إلا بما أمره الله به

"أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۗ" ، إيه أصل هذا الكلام؟ ما أصل هذا الصنم؟ ماذا كنتم تعبدون قبل أن يأتي هذا الصنم؟ من الذي وضع هذا الصنم؟ وبأي حق وضعه؟ ولماذا فرضه عليكم؟ أسئلة لا بد أن نسألها للمجتمع، وبرغم من هذا الغضب الذي كان بداخل هود، هذه نقطة هامة أيضًا، لم يدفعه بأن يتكلم بكلام لم يأمره الله به، فلم يقل لهم فانتظروا العذاب بعد ثلاث، لأن ربنا مقالوش العذاب بعد ثلاث، غير سيدنا صالح، مقلهمش فانتظروا بركان ينفجر فيكم، فانتظروا نزول جبريل يعذبكم، فقال "فانتظروا" ، إيه اللي هيحصل؟ "إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ" ، أنا برضه معرفش إيه اللي هيحصل.

تخيل هذا الخطاب حينما يقف هود في مشهد قوة كما في سورة هود، والتفصيل هذا المشهد موجود في درس حول سورة هود، موجود على النت، فحتى لا أطيل هنا، حينما يقف هو هذا الموقف، ثم يقولون له ماذا ستفعل فيقول لا أعلم أنا مجرد رسول، مينفعش الداعية يغضب ويتعدى ما أمره الله به، "قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بِنَبِيِّ وَيَبَيِّنُكُمْ" الأنعام: ٥٨ ، لكن هو مش عندي، أنا بشر أنا رسول، لا أتجاوز أمر الله فيكم، فانتظروا وأنا أيضًا منتظر؛ منتظر أوامر الله -عز وجل-.

رحمة الله -عز وجل- بأهل الإيمان

هذه الكلمة قد يضحك منها أهل الكفر، لكن هي علامة من علامات وقوف نبي الله هود عند حدود الله، لم يأتي إلي فيكم شيء فأنا مجرد رسول، أبلغكم وأنصح لكم فقط، وأنذركم، "انتظروا إني معكم من المنتظرين" ، "فَأَجِينَاهُ" ، أي فأتاهم العذاب فأجيناها، كما سبق وذكرنا، فدم الله -عز وجل- النجاة على نزول العذاب بشري لأهل الإيمان، "فَأَجِينَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا" الأعراف: ٧٢ ، بعض العلماء قال أن الباء هنا للملابسة، والمصحابة، أي صاحبتهم الرحمة أثناء نزول العذاب، وحتى بعد أن نجاهم الله -عز وجل- عاشوا في رحمت من الله -عز وجل-.

"بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ۗ" ، أيضًا وصف الذين كذبوا بآياتنا، احنا قلنا أن كلمة آيات من أكثر سورة تكررت فيها كلمة آيات سورة الأعراف، فسبب نزول العذاب أنهم "كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۗ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ" ، يعني دول قفلوا باب الإيمان مكانش فيهم أمل، "وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ".

سورة الأعراف أول سورة تقص علينا قصص الأنبياء

"وَالْيَ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا" الأعراف: ٧٣، قوم تمود كانوا بعد قوم عاد، وعاشوا بين الحجاز والشام منطقة شمال قوم عاد، وعلموا ما نزل بقوم عاد، "وَالْيَ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا"، أيضاً أرسل الله -عز وجل- إليهم صالح وكان منهم أيضاً كلمة أخاه نفس المعنى التي أفادته كلمة أخاهم هودا، "قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ"، أيضاً نفس دعوة التوحيد، البداية الواضحة الصريحة، "قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ"، هنا أول مرة تأتي بيينة واضحة، حسيّة في سياق قصص القرآن، لو لاحظتوا أن اللي هيقراً المصحف من أول سورة البقرة، حتى يصل إلى سورة الأعراف، سورة الأعراف أول سورة في المصحف بدأت تقص علينا قصص الأنبياء بالتفصيل، لذلك اللي هيعود إلى التفاسير سيجد في هذه المواطن استفاضة طويلة جداً في شرح قصص الأنبياء.

أهل الباطل يحاولون فتنة الدعاة إلى الله

لأن دي أول سورة هتقابلك بتشرح لك قصص الأنبياء بهذا التفصيل، تمشي كده قصة نوح ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، ثم موسى -عليه السلام- بنفس الترتيب الزمني، ففيه استفاضة في شرح هذه القصص في التفاسير، وأيضاً أنت أول مرة يقابلك نبي جاء بآية حسيّة واضحة، هذا لا يمنع وجود آيات وبيّنات عند السابقين أيا كانت نعرفه أو لا نعرفه، فهنا أضاف صالح مباشرة أنه معه بيينة، وكان بعض أهل العلم يقول أن سيدنا صالح كان فيه رقة، قوم عاد كانوا متجبرين وكانوا عتاه، فأتاهم هود -عليه السلام- وواجههم بقوة، أما دعوة صالح كان فيها رقة، لذلك أرادوا استمالته، "قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ۗ" هود: ٦٢، أما قوم هود، عاد حينما تعاملوا مع هود -عليه السلام- هددوه، وقالوا ان احنا نرى أن الآلهة، "إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ" هود: ٥٤، فواجههم هود، فكان أهل الباطل يدرسون شخصية الداعية، يدخلون لداعية من المواجهة وداعية من الملاينة والمداهمة، وفي كل الأحوال ثبت الأنبياء.

ولكن الدعاة ليسوا معصومين، "قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ"، فبدأ بطرح البيينة، "قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ"، بعض أهل العلم قال هما طلبوا بيينة الأول فأتتهم هذه البيينة، "قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ هَذِهِ" اسم إشارة للقريب قدامنا أي واضحة، "هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۗ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ"، العلماء اختلفوا ليه الناقة آية، يعني سيدنا صالح أشار إلى الناقة، طيب لماذا الناقة كانت آية؟ وهل هما اللي طلبوها أم أتى بها صالح -عليه السلام- ابتداءً؟ جمهور المفسرين قالوا هما اللي طلبوها، قال: إنه يدعوهم إلى التوحيد فقالوا نطلب منك آية حسيّة يراها الجميع، فإذا رأيناها آمنّا بك، فأخرج لهم الناقة بأمر من الله -عز وجل-.

لماذا كانت الناقة آية؟

طيب لماذا الناقة آية؟ بعض أهل العلم قال الناقة آية، والأمر ده مش مذکور صريحاً في القرآن، أنها خرجت من الحجارة، خرجت من جبل، تمخض الجبل وأخرج هذه الناقة، فكانت آية الناقة لأنها خرجت بغير أبٍ وأم، بغير يعني حيوانات سابقة، بغير وجود الفحل لها، فجاءت هذه الناقة مباشرةً من الصخر فكانت هذه آية، ورأوا ذلك بأم أعينهم، وبعضهم قال لا، الآية أنها كانت لها شرب تشرب الماء يوم، تماماً بمفردها، وأنها تُنهي الماء تماماً، ثم حينما تُنهي الماء تعطي لبن يغطي القبيلة بآجمعها، القوم كلهم يشربون، القوم كلهم يشربون من لبنها يوم، ثم يوم تترك لهم الماء ولا تعطيه لهم اللبن، فكانت آية أيضاً حسية.

وبعضهم جمع قال هذه وهذه، أي كان أنها كانت آية حسية صريحة لا يُماري فيها أحد، يعني مش بعد ما طلعت الآية قالوا لا احنا شاكين، لا هي كانت آية صريحة لهم، لذلك عمدوا إلى قتلها، يعني لو كان عندهم شُبّهات، لو كان لديهم شُبّهات ضد الناقة وأنها ليست آية حسية واضحة كانوا قالوها، واضح؟ يعني لما كان عند فرعون شُبّهة ضد العصي قال هذا سحر، وأنا هجيب سحر زيه، هما معروفوش يعملوا كده، ماقالوش لا أصل الناقة دي احنا ممكن نعمل زيبها، معروفوش.

يجب أن نتذكر أننا نعيش في أرض الله ومُلكه فنخشاه

"قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ"، منسوبة إلى الله تشریفاً، جاءت بأمرٍ من الله وبقدرته - سبحانه وتعالى - فهي نُسبت "نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۗ"، كلمة أرض الله كلمة تجعل الإنسان يستيقظ ويفيق على الحقيقة التي ينساها أنه يعيش في أرض الله، يأكل من رزقه، يستعمل القوة والنعم التي أعطها الله - عز وجل - له ، فلماذا تواجهون الناقة لماذا تريدون قتلها؟ هي في أرضه تأكل من رزقه، وأنتم أيضاً كذلك، يعني لما تروح تكلم واحد بيعصي ربنا في أرض الله، هو يعصي الله - عز وجل - في مُلكه، يعصي الله - عز وجل - في مُلكه، فتقول اتق الله تعصي الله في أرضه؟!!

حينما يتذكر الإنسان هذه الحقائق هو أولاً يخشى الله، يخشى أن يعصاه، وفي نفس الوقت حينما يدعو الناس يكون عنده قوة، ماذا تفعلون على أرضه، إنها أرض الله - سبحانه وتعالى -، "فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۗ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ" فيترتب مباشرةً بعد قتلها "فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"، خلاص؟ توقع صالح أنهم سوف يقتلوا الناقة، توقع صالح، يعني هو ليه من الأول قال لهم متقربوش من الناقة إلا إذا كان هو مُرتاب في ذلك، ثم استكمل دعوته، لماذا ارتاب صالح في ذلك؟ ولماذا عقروها؟ سوف نتكلم في خلاف العلماء في لماذا عقروا الناقة.

كان قوم صالح يعيشون حياة مترفة

ثم أكمل دعوته وقال **"وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ الْاَعْرَافِ: ٧٤**، كل واحد يبذكر أقوامه بالأقوام السابقين، **"وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ"**، أسكنكم في الأرض **"تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا"**، فالعلماء قالوا هما كانوا عايشين في السهول ولا كانوا عايشين في الجبال؟ فقالوا كانوا في الشتاء يعيشون في الشتاء في الجبال وفي الصيف في السهول، كانوا آخر نغمة، يصيفوا في السهول ويشتوا في الجبال.

أعطى الله قدرة رهيبه لقوم صالح

فقال صالح -عليه السلام- **"تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا"**، مسألة القدرة الرهيبه التي أعطاها الله - عز وجل - لهم، هذه النعمة العظيمة أنهم ينحتون من الجبال بيوتاً، شوف أنت عشان تبني بيت، تروح وتسافر وتقعده وتشتغل، هو يقوم، الجبل ده عجبي الجبل ده باصص على البحر كده، يقوم داخل حافر له فيه وعامل ومضبط وعامل ثلاث أربع أوض في الجبل، **"وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا"**، تخيل حول الجبل إلى بيت، شوف هذه القدرة.

لماذا كان قوم صالح ينحتون من الجبال بيوتاً؟

اختلف أهل العلم لماذا كانوا ينحتون، طب السهول خلاص بيجلس في السهل، يبني القصر في السهول ماشي، لكن لماذا كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً؟ بعض أهل العلم قال، أو كثير من أهل العلم قال لأنها وردت في الإسرائيليات، لطول أجسادهم وطول أعمارهم، كان يسقط البيت وهو لسه زي ما هو، الشاب الراجل زي ما هو، فقال مش نافع يعني كل شوية أبني بيت، فيروح للجبل، الجبل هو اللي يفضل، لكن أظن والله أعلى وأعلم ظني يعني وما أقوله يعني كان إشارة من قوله تعالى -سبحانه وتعالى- **"وَكَاثُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ"** الحجر: ٨٢، كانت جاءت في سورة الحجر، وفارحين في سورة الشعراء **"وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ"** الشعراء: ١٤٩.

كان قوم صالح يعيشون في الجبال آمنين

وناسب كل كلمة ناسبت الحجر فيها لفظ الحفظ والأمن كثيراً، والإنسان يبحث عن الحفظ، وقال ربنا أيضاً في سورة الحجر، **"لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ"** الحجر: ٨٤، سورة الشعراء واستعمال الرفاهية لأجل الإعلام، فكانوا **"اتَّبَنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ"**، الشعراء: ١٢٨، فكانت مناسبة لجو الشعراء فارحين، أما، **"يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ"**، آمنين من ماذا؟ لما أهلك قوم عاد، قوم سيدنا هود -عليه السلام- قوم عاد لما أهلكوا بالريح، أهلكهم الله -عز وجل- بالريح الصرصر العاتية، سخرها الله -عز وجل- عليهم أياماً وليالي، فأرادوا أن يعيشوا في أمان من نواب الدهر، وكان عندهم قدرة على ذلك، أعطاهم الله -عز وجل- القدرة على ذلك، فكانوا يريدون الأمن، كما قال ربنا **"يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ"**، فكانوا يريدون بحثاً عن الأمن يعيشون في الجبال.

اغترار قوم صالح بأسباب الدنيا

فكانوا يريدون بحثاً عن الأمن يعيشون في الجبال، لذلك في وقت الشتاء وده قالوا جمهور المفسرين هذا القول أنهم في الشتاء كانوا يجلسون في الجبال، أمنًا لهم، فاعتقدوا أن الإنسان يستطيع أن يتعد عن عذاب الله - عز وجل - بأسباب الدنيا، فجاءهم العذاب الصيحة، مش الريح، ورجفة وزلزلة زي ما هنتكلم في عذابهم الآن، أما الذين قالوا "وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" ^ط، فصلت: ١٥، أهلكتهم الله بهواء، مين أقوى مني، شوية هوا يضيعوه، "وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً"، فأهلكهم الله بريح؛ قوم عاد، هؤلاء اتقوا الريح فجاءهم العذاب من حيث لا يحتسبون، هذا ظني والله أعلى وأعلم في مسألة لماذا ينحتون من الجبال بيوتًا، إنما غالب المفسرين كما قلت ذكر الإسرائيليات أن كان عمر بيطول وكانوا أجساد طويلة، فأدى ذلك إلى أنهم يريدون بيت لا يبلى، فذهبوا إلى الجبال، وكان عندهم قدرة على ذلك من تقدير الله لهم.

"تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ^ط فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"، أضاف إلى كلمة آيَاء الله الذي قالها هود هنا، أيضًا لأن كانت القوة زيادة عندهم فقال "وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"، أيضًا مباشرة من الذي رد؟ الملاء "قَالَ الْمَلَأُ"، هنا في زيادة الملاء إليه؟ "الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا" الأعراف: ٧٥، احنا قلنا الأول الملاء بس، فقط الملاء فقط، ثم الملاء الذين كفروا، ثم الملاء الذين استكبروا، استكبار أعلى من الكفر، هم كفار أصلًا، فهما أضافوا إلى الكفر، ممكن كافر لكن لا يتكبر، لكن هؤلاء استكبروا على المستضعفين، لذلك جاء لفظ استكبروا جاء أمامها مقابل لها استضعفوا.

الاتهام الدائم للرسول والدعاة بالضلالة والسفه

"قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ"، في أول مرة هنا فيه ملاحظة، أن أول مرة هنا الخطاب لا يكون مع النبي، يعني سيدنا نوح لما كلمهم قالوا له "إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" الأعراف: ٦٠، سيدنا هود لما كلمهم قالوا له "إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ" الأعراف: ٦٦، فكان متوقع أن يكلموا سيدنا صالح طب ليه مكلموش سيدنا صالح؟ هنا كلموا مين الأتباع مباشرة، كلموا المستضعفين المؤمنين، خطاب صالح - عليه السلام - بوضوح مع الناقة البيّنة، مش عارفين يقولوا حاجة لسيدنا صالح، نلعب على الأتباع، وكأن دايماً أهل الباطل بيحاولوا كده، الأول يتهموا الداعية في شخصه أن هو ضال، مش عارفين يثبتوها، نتهم أن عنده مشكلة في الأخلاق أو في العقل، أن هو في سفاهة، مش عارفين يثبتوها، خلاص نشغل على الأتباع خلصنا الشخص.

استغلال المستضعفين من المؤمنين

كما حاول المشركون مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يتهموه باتهامات كثيرة فشلوا، ثم اتهموه في زوجته المبرأة عائشة - رضي الله عنها -، مبرأة من فوق سبع سموات، فاتهموها، ممكن يخشوا من مدخل الأهل، ثم الصديق، ثم الأتباع، يحاول يدخل لأي مدخل يهدم الدعوة، فهنا قالوا، اتجهوا مباشرة لمن؟ للمستضعفين، "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ

اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، منهم دي الأول فيها خلاف، لو حبيننا نشيل الضمير هم، ونخط اسم ظاهر هنحط إيه؟ يعني، قال الملائة الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن من قومه ولا لمن آمن من المستضعفين؟ اللي قال لمن آمن من قومه يبقى كل المؤمنين مستضعفين.

اللي قال إن كلمة هم دي بتعود على قومه، قال الملائة الذين استكبروا من قومه لمن آمن من قومه، فكأن قومه اتقسموا نصين، كفار مستكبرين ومؤمنين ضعفاء، اللي قال لا، للذين استضعفوا لمن آمن من المستضعفين، قال ليس كل من استضعف آمن، فراحوا كلموا الجزء المؤمن من المستضعفين، تاني، أن الملائة الذين استكبروا اتجهوا بالخطاب للمستضعفين، طب مين المستضعفين؟ هل كل القوم المؤمنين كانوا مستضعفين؟ ولا المستضعفين كانوا نصين، نص أذعن وأطاع القادة، وأطاعهم وأعرض عن صالح، وخاف من المستكبرين، وقوم أجاب دعوة صالح -عليه السلام-، وكان مستضعفا، فبعضهم قال إن كان فيه جزء مستضعف مؤمن، وجزء مستضعف كافر، فهما راحوا مين؟ للجزء المستضعف المؤمن، الضعيف المؤمن اللي معندوش عدة ولا عتاد ولا دنيا، راحوا يضغطوا عليه.

يريد المستكبرين زعزعة إيمان المستضعفين

راحوا يسألوهم سؤال، **"أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ"**، يبشوفوا كده مدى إيمانهم، إيمانهم مهزوز؟ قابل أن هم يضغط عليهم؟ بعض العلماء قال إن كلمة أتعلمون ده مش مجرد سؤال عن الإيمان، لا، ده أتعلمون يعني أنتم موقنون ولا أنتوا تظنون ظنًا؟ أتعلمون، يعني ما أنتم عليه من إيمان ده علم يقيني؟ ولا انتوا سمعتموا كلام كده وخلص ومشيتوا ولا انتوا فاهمين أي حاجة، اللي زي برضه **"بَادِيَ الرَّأْيِ"**، **"أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ"**، اتكلمنا قبل كده أظن تاني درس في مسألة أن السؤال ده، متوقع أن اجابته نعم أو لا، **"أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ"**، كان ممكن يقولوا نعم، نعم نعلم أن صالحًا مرسلًا من ربه، أو ممكن يقولوا لا لو هما كفروا و-العياذ بالله-، فالإجابة لأن هما مؤمنين كان متوقع أن هما يقولوا إيه؟ نعم نعلم أن صالحًا مرسلًا من ربه، لكن لما عرفوا غرضهم، وأنهم يريدوا أن يززعوا إيمانهم.

المستكبرين هنا مش رايحين يسألوا سؤال عادي، رايحين يقومون بزعزعة إيمان المستضعفين فأرادوا أن يثبتوا أن إيمانهم قوي، وأنه غير قابل للزعزعة، نحن لسنا فقط نعلم أنه مرسل، نحن نعلم أنه مرسل وآمنًا بكل ما جاء به، فلما ردوا قالوا إيه **"قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ"**، يعني احنا هنتجاوز مسألة هو رسول ولا لأ ده أمر عندنا منتهي، طبعًا هو رسول، **"إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ"**، زي ما بيروى عن الصديق لما جم يعني يطعنون في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- في الإسراء فقال أصدقه فيما هو أعلى من ذلك، ده الإسراء ده حاجة عادية خالص، ده مصدقه في أبعده من ذلك إيه يعني الإسراء والمعراج.

عناد الكفار وإصرارهم على الكفر

فيحي أحياناً واحد إيه عايز يقوم بنوع من البلبلة، يشوف مدى عقيدتك مثلاً، أو مدى بعدك عن معصية معينة، فأنت تثبت له أن أنت معدّي المنطقة دي من زمان، فقالوا **"إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ"** فلما المستكبرين وجدوا أن المستضعفين على هذا الثبات أرادوا أيضاً أن يثبتوا أنهم على نفس الثبات، فقالوا **"إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ"** الأعراف: ٧٦، وهذا من العناد، هذا من العناد، كيف يؤدي العناد إلى الكفر، ماقالوش إنا بما أرسل به كافرون، مع أن محور الكلام عن الرسالة، واحنا قلنا أصلاً من محاور الكلام عن سورة الأعراف قضية الرسالة، وإرسال الرسل، **"كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ"**، من أول آية **"فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ"** الأعراف: ٢، **"فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ"** الأعراف: ٦، كذبوا بآياتنا، قضية الآيات والرسالة والرسل.

يؤكد الكفار كفرهم بآيات الله

لم يقل الكفار إنا بالذي أرسل به كافرون، بعضهم قال لأن كان ممكن يتفهم من كلام الكفار لو قالوا إنا بما أرسل به كافرون، أنهم يثبتون رسالته أن هو رسول لكن احنا مش مؤمنين باللي بيحي بيه، يعني احنا اللي غلط كان ممكن يتفهم من كلامهم كده، كان ممكن بعض المستضعفين يفهم، يعني لو واحد قال أنه بماء جاء به الرسول كافر، فقد يعترف أنه رسول ولكنه لا يريد أن يؤمن، لكن حينما يقول هو لم يأتي بشيء يريد أن ينفي الأصل فالكفار قالوا أي شيء أنتم آمنتم به نحن به كافرون، وأيضاً بصيغة التأكيد **"إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ"**.

لماذا عقر قوم صالح الناقة؟

هنا عايزين نلاحظ حاجة، سيدنا صالح اتكلم معاهم وقال لهم اعبدوا الله وفيه آية، وهي الناقة. واذكروا نعم، كان المتوقع إما يردوا عليه أو يقوموا بعقر الناقة، حصل فاصل، الفاصل ده إيه اللي حصل؟ ركز عشان نفهم ليه عقروا الناقة ولماذا جاء بعد هذه الرد مباشرة **"فَعَقَرُوا النَّاقَةَ"** الأعراف: ٧٧، قوم صالح الملاء المستكبرين وقعوا في مشكلة أن الرسالة البيّنة اللي مع سيدنا صالح تمشي أمام أعينهم كل يوم، هما طلبوا البيّنة فتمشي البيّنة الناقة قدامهم كل يوم، ويوم ويوم تعطيهم اللب، فالآية متجددة أمامهم فكل ما يحاولوا يضحكوا على الأتباع وخلص كلامهم هيأثر في الأتباع، فالأتباع يشوفوا الناقة يقول لك لا، لا، لا احنا هنصدّق سيدنا صالح، فيقعدهوا يعملوا شبهات ومشاكل وبرامج وأفكار وتخويف، وضغط أمني، فخلص المستضعفين هيسمعوا كلام المستكبرين يبجوا اليوم اللي بعده يشوفوا الناقة يقولوا لا لا احنا هنصدّق سيدنا صالح.

فظول ما الآية موجودة هو مش عارف يشتغل، فالحل إن أنا أعمل إيه؟ أموت الآية، أشيلها من قدام الناس، طول ما داعية بيذكّر الناس بالقرآن، الآية موجودة، لذلك هما المشركين في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت مشكلتهم في قراءة القرآن، الآية طول ما هي بتتلى مش مستحملين، سيدنا أبو بكر انعزل عن الناس وفي فناء داره يقرأ القرآن لكن بصوتٍ عالي أغضب ذلك قريش، كان بيتقصف عليه، سائر المشركين والأطفال، منبهرين بالقراءة، قراءة أبو بكر، وكان رجل أسيفاً، فقالوا لا امنعوه، طب يقرأ القرآن، يعني طول ما الآية بتقرأ مستمرة على أذهان وأسماع وأبصار الناس يجعل الناس يعيدون التفكير مرة تلو أخرى، فلا يقفوا في شباك هؤلاء الملاء.

الوسائل التي يستخدمها أعداء الدين لهدمه

فكان الحل إن هما يموتوا الناقه، الحل ان احنا نعمل إيه؟ نمنع الآية، لذلك سورة البروج لما قتلوا المؤمنين في آخر السورة، "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنٌ وَثمودَ" البروج ١٧: ١٨، ربط بين الاتنين ليه؟ لأن فرعون أراد قتل موسى، معه الآية وثمود قتلوا الناقه الآية نفسها، فأكبر وسيلتين بيحاولوا يهدموا بيها الدين قتل صاحب الآية، أو الذي معه الآية، أو الآية نفسها، هما ليهم طريقتين، شبهات ضد القرآن، وشبهات ضد حامل القرآن، اللي هو يلعب على الاتنين، المنهج وحامل المنهج، فالمنهج محفوظ، القرآن، لذلك ربنا قال لهم في آخر سورة البروج، "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ" البروج ٢١: ٢٢، مش هتتعرفوا تعملوا حاجة.

مهما قتلتم من حامل المنهج سوف يُخرج غيره، فنأتي هنا فعقروا الناقه لأنهم لم يستطيعوا أن يتحملوا وجود الآية مُذكّرة أمامهم، مش عارفين يتكلموا، راحوا يتكلموا، يعني هما قالوا إيه؟ خلاص احنا هنسيب الناقه مش هنموتها، بس هنعمل إيه هنروح نشغل على المستضعفين، راحوا يشتغلوا على المستضعفين، لقوا المستضعفين إيه؟ في قمة الإيمان، قال لك طب وبعدين؟ احنا كده وجودنا في مركز الملاء كده خطر، يعني بيتهدد الخطر، الخطر بيهددنا، مينفعش وظيفة الملاء هتسحب من تحت أرجلنا، طب نعمل إيه؟ احنا كل ما نكلم الناس يقول لك الناقه أهي آية، خلاص احنا نموت الناقه نُثبت أنها ليست آية.

التفكير الضال يؤدي إلى حتف الإنسان بنفسه

شوف إزاي ممكن التفكير يؤدي إلى حتفه، "فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ" النمل: ٥١، مش مكر الله -عز وجل-، هما مكروهم هما اللي بيدمروا نفسهم، "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ"، بعض أهل العلم قال أن هما عقروا الناقه لأجل هذا السبب، لم يتحملوا وجود آية مُذكّرة للناس أمام أعينهم، بعضهم قالوا ده قلة، لأنها أيضاً مروية في الإسرائيليات أن الناقه كانت بتؤذيهم في أموالهم، عملت لهم أزمات اقتصادية بسبب موضوع أنها بتسقي اللبن يوم كامل، إن الدواب اللي كانت بتزعى حول الناقه كانت تخاف من هذه الناقه فابتعدت عنهم، فأثر ذلك في أموالهم، السبب أن هما حاولوا يموتوا هذه الناقه لأنها أضرت

بأموالهم، سبب اقتصادي يعني، فأيا كان ويمكن يكون السببين، السبب أن هي والسبب الأصلي، إن هي مُذَكَّرَةٌ آية بيّنة واضحة للناس، فالمالاً بيخسروا وظيفتهم وخصوصاً أن هما طلبوا آية على قول أن هما اللي طلبوا الآية، طب الآية موجودة لماذا لم تؤمنوا؟

قوم صالح هنا مجادلوش سيدنا صالح، مش عارفين يقولوا حاجة، خطاب واضح صريح، آية بيّنة وبصورة أمامهم هيقولوا إيه؟ فاتجهوا للعب على المستضعفين، فلما فشلوا قالوا خلاص هو الحل الوحيد اللي قدامنا يا هنؤمن يا نموت الناقة، فاختاروا الكفر، فعقروا الناقة، **"وَقَالُوا يَا صَالِحُ"**، لما موتوا الناقة عرفوا يتكلموا مع سيدنا صالح، طول ما البيّنة كانت موجودة مش عارفين يكلموه، واضح، في الأول لما سيدنا صالح كلمهم وكانت الآية بيّنة محدش اتكلم مع سيدنا صالح، هيقولوا إيه مش عارفين يتكلموا، لما عقروا الناقة **"وَقَالُوا يَا صَالِحُ اثْنَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا"**، احنا قتلنا الناقة.

وصل قوم صالح إلى قمة الاستكبار

"وَقَالُوا يَا صَالِحُ اثْنَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"، بدأوا يشككوا في رسالته، **"فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ"** جابوا يعني و-العياذ بالله- قمة العتو والاستكبار أن هما يقتلوا الناقة، العتو، فجور، نقول لهم ناقة الله وفي أرض الله، وآية أنتم طلبتموها ثم تقتلونها، **"فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ"**، وخاطبوه باسمه هكذا **"يَا صَالِحُ اثْنَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"**، ده فهم دائماً وإن كان نزل عليهم العقاب، لكن ده فهم خاطيء أن مش كل معصية بيتبعها العقاب فوري، ولا سيّما في آخر الأمم أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

الفهم الخاطيء الذي وقع فيه قوم صالح

أيضاً فهم خاطيء أن يعتقدون أن النبي هو الذي يملك إنزال العذاب، فلسه بنقول **"قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِي الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"** الأنعام: ٥٨، **"فَانتظروا إني معكم من المنتظرين"** الأعراف: ٧١، فهنا فيه نوعين من الفهم الخاطيء: الفهم الخاطيء الأول أنهم يعتقدون أن أي معصية تستوجب نزول العذاب الفوري، لكن هنا نزول العذاب لأنه توّعدهم، قال لهم لو قتلتم الناقة فسوف يمسخكم العذاب، لكن هذا ليس مضطّرّد لأن ده كان وعيد خاص لهم، الخطأ الثاني: أنهم يعتقدون أن هذا بيد صالح.

"اثْنَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ" الأعراف ٧٧: ٨٧، طبعاً ورد في أكثر من سورة أن العذاب جه بأسماء مختلفة، جاء الرجفة، جاء الصيحة، جاء الصاعقة، **"صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ"** فصلت: ١٧، أو الصاعقة **"صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ"**، وأيضاً **"فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ"** الحاقة: ٥، عاد **"بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"** الحاقة: ٦، وثمود أهلكوا بإيه؟ بالطاغية، فالتعابير الأربعة، الصيحة، الرجفة، الصاعقة، الطاغية، بعضهم جمع وقال إن

الأصل هي الصاعقة، الصاعقة عملت صوت زي صوت الرعد، صوت عظيم جدًا جعل قلوبهم ترجف فسَمَّيت الرجفة، وهذا الصوت وهذه الصاعقة زلزلت الأرض وزلزلت الجبال لأنهم كانوا يعيشون في الجبال، فرجفت بهم الأرض، مش بس رجفت القلوب، رجفت الأرض، لأن بعضهم قال أن الرجفة هي الزلزلة.

تفسير الصاعقة والطاغية

فأخذتم الرجفة، تلاقي بعضهم قال الرجفة هي الزلزلة، وأن العقاب كان نوعين، عقاب من السماء وعقاب من الأرض، عقاب السماء كان الصاعقة، وعقاب الأرض كان الزلزلة، بعض المفسرين قال لا أن الزلزلة كانت نتيجة لقوة الصوت أصلاً، أي كان، كان عقاب من السماء وعقاب من الأرض، صيحة، صوت مع الصاعقة، فالصيحة والصاعقة مرتبتين ببعض، والرجفة، إما عذاب آخر أو أثر للصيحة، يبقى الرجفة، إما عذاب آخر، يعني عوقبوا بحاجتين، الصاعقة من السماء والصاعقة هي اللي عملت صوت صيحة ومعها زلزلة، أو أن الزلزلة أثر للإيه؟ طب الطاغية معناها إيه؟ قالوا الطاغية يعني الصاعقة أو الزلزلة التي تجاوزت الحد.

العقاب كان جماعي لأنهم وافقوا على قتل الناقة

وبعضهم قال: بالطاغية، أن الباء هناك مش باء الآلة، باء الآلة لو كانت هناك باء الآلة يعني أهلكوا بالصاعقة يعني آلة الإهلاك كانت الصاعقة، بعضهم قال: لا الباء مش باء الآلية بقاء السبب، يعني إيه بقاء السبب؟ أهلكوا بسبب الطاغية، يبقى الطاغية اللي هو مين؟ قدار ابن سالف اللي عقر الناقة، يبقى بعضهم قال هناك أن الباء بقاء السبب، فقال أهلكوا بالطاغية، أهلكوا بسبب وجود الطاغية وأنهم لم ينهوه، لذلك هو ليه نزل العذاب عليهم؟ ومع أن اللي عقر الناقة واحد اللي هو مروى في الآثار أنه قدار ابن سالف، رجل منيع زعيم في قومه قام وقتل وعقر الناقة؟ لأنهم رضوا بذلك، بل في بعض الآثار مروية أنهم مرؤوا على كل الديار حتى المرأة في بيتها يسألونها، بيجمعوا الديمقراطية بقى، بياخدوا الموافقة أن هما هيموتوا الناقة.

أسباب نزول العذاب العام

وقال ربنا - سبحانه وتعالى - "فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ" هما اللي نادوه، فَتَعَاطَى فَعَقَرَ" القمر: ٢٩، وكل واحد قاعد يقول مين اللي هيقتلها وهو تقدم قال أنا أقتلها، يعني كان في اتفاق ورضا من الجميع على ذلك، فلذلك جاء العذاب عموم، ودي من أسباب نزول العذاب العام أن يفعل المعصية أحد الناس والباقي لا يُنكر عليه، فيه أسباب لعموم العذاب موجودة في القرآن والسنة منها، إن ممكن معصية تستجلب العذاب بالرغم أن اللي عملها لا يُخص بالعذاب، لماذا جاء العذاب عامًا بالرغم أن اللي عملها واحد، أو مجموعة قليلة لأن الباقي رضوا بذلك، ولم ينكروا عليه.

نزول العذاب بعد الأمان

"فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ" الأعراف ٧٧: ٧٨، الجنم بعضهم يقول أن دي الدابة لما تربط وتترمي تأكلها الفريسة، أو تموت لا تستطيع أن تتحرك، أو الأرنب الخائف الملتصق بالأرض، أي كان، جاثمين منظر الجثث ملقاة على الأرض لا تتحرك سواء خوفاً قبل العذاب، أو جثث مرمية بعد العذاب، متراكمة على بعضها البعض، "فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"، هذه الدار التي كانت لهم أماناً الآن أصبحوا فيها جاثمين.

ترتيب الأحداث في الآيات

"فَتَوَلَّى عَنْهُمْ"، أي صالح انصرف عنهم -عليه السلام-، "فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ" الأعراف: ٧٩، بعض العلماء قال أن الخطاب ده كان قبل نزول العذاب، وأن ترتيب الآيات "وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"، "فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ"، بعد كده "فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ"، يعني بعضهم يقول أن آية ٧٨ "فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ"، آية معترضة ما بين الآيتين، وإن كان ترتيب الآيات، وأن التقديم اللي حقه التأخير، أن كان ترتيب الآيات آية ٧٧ بعدين ٧٩ بعدين ٧٨، ده كان السياق، لكن قديم ذلك، لأن ربنا - سبحانه وتعالى- ذكر العقوبة مُعَجَّلَةً عشان يعرفنا أن هما استحقوا العذاب الفوري مباشرة.

إصرار قوم صالح على الكفر والعناد

فقال أن سيدنا صالح قال لهم، الكلام ده وهما عايشين سمعوه منه "وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ"، لما أصرُّوا خلاص وعقروا الناقة، قال لهم أنا عملت اللي عليا "أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"، ورجحه بعض أهل العلم، وبعض أهل العلم قال لا، هذا أشبه بخطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لقتلى بدر، بعد أن ماتوا يحسِّرهم ويبكِّتهم وهم يسمعونه، فكان خطاب، أنه فعل ما بوسعه، ولكن هم الذين رفضوا، فبعضهم قال أن الخطاب ده بعد ما ماتوا، "وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي"، بعضهم قال أنه تحسَّر، وبعضهم قال لا الأمر لم يتحسَّر عليهم لأنه فعل ما بوسعه، وأنهم أصرُّوا، وأن ما بكت عليهم السماء والأرض، لا يستحقوا أن يحزن الإنسان عليهم، لأن صالح -عليه السلام- فعل ما بوسعه وكانت الناقة واضحة بيّنة أمامه، هم طلبوها وأتاهم الله بها.

خطورة أن يكره الإنسان النصيحة

"وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"، مسألة لا تحبون الناصحين مسألة خطيرة جداً أن الإنسان يكره أن يُنصح، مسألة لا بد للإنسان أن يقوّمها في نفسه، النفس البشرية قد ترفض ذلك، محدش يبحب حد يقول له أنت غلط، النفس بطبيعتها ترفض ذلك، لكن حينما يصل الإصرار أن العند يصل إلى الكفر، وقتل الآية، وقتل الناقة وعقر الناقة، هو

يرفض النصح في كل ذلك هو يستوجب العذاب، إذا مفيش حد يقول أصل أنا طبعتي كده وأنا مباحش النصح لا، رفض النصح مُطلقاً قد يؤدي للإنسان و-العباذ بالله- أن يصل إلى هذه المرتبة من الضلال، **"لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"**.

رفض القوم النصيحة خطر يؤدي لنزول العذاب

والأخطر من ذلك أن يقوم الملاً بتشويه صورة الإنسان الناصح، الإنسان اللي بينصح الناس، الداعية الذي يريد أن ينصح الناس في دينهم، يقوم الملاً بتشويه صورته، فالناس لا يحبونه، **"وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"**، أي حد يُدكرهم بالجنة أو بالنار، لا يحبون أن يسمعو مثل هذا الكلام، فيحصل للأسف رفض مجتمعي لأي ناصح، مش ناصح يعني ذكي، يحصل رفض مجتمعي أي حد هينصح مش عايزين نسمع، أنت مالك كل واحد في حاله، فيحصل نوع من الاشتمزاز المجتمعي، أي حد بيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحصل و-العباذ بالله- نوع من الاشتمزاز المجتمعي من ذلك، أمر خطير جداً أن يصل المجتمع إلى هذه الحالة، وصف قوم صالح **"لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"**، فحينما يتصف قوم بهذا الوصف القوم كلهم مش فرد، القوم كلهم يتصفون بالوصف علامة خطر نزول عذاب، خلاص المجتمع رافض أنه يتغير.

طب الأمل أصلاً في عدم نزول العذاب، الأمل في التغيير، **"إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"** الرعد: ١١، فإذا رفضوا التغيير وكرهوا كل إنسان ينصح فبالتالي خلاص هيستوجبوا نزول العذاب، يغلقوا منافذ الرحمة عليهم **"وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"**، فأسوأ شيء أنه يتحول المجتمع، أن مش بس يرفض النصح، لا يشوه صورة كل إنسان يريد أن ينصح، فتصبح الصورة المجتمعية أي حد عايز يكلم الناس في الدين ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يصبح إن هو يتسمى إرهابي، يتسمى بأسماء ومصطلحات تفرع الناس منه، ولا يتكلم ممنوع أنه يتكلم، وملكش دعوة، ملكش دعوة يصلي أو ميصليش، حتى أركان الدين الأساسية.

أصبحت تسير في الشارع تسمع سب للدين بأذنك ولا تستطيع أن تنهى عن المنكر، يقول لك وأنت مالك دي حرية شخصية، فأصبح فيه رفض مجتمعي، وكان زمان في البرامج يطلّعو فنكوش كده يسموه جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويخوفوا الناس منه عشان يقول لك مش من حقه، بحيث أن هما يشيعوا رفض مجتمعي لأي إنسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، نعم لا ننكر وقوع بعض الأخطاء من بعض الدعاة، لكن هذا لا يعني نزع هذه الشعيرة من المجتمع **"وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"**.

اسأل الله -عز وجل- أن يستعملنا لنصرة دينه، أن يستعملنا ولا يستبدلنا وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.